Journal of Libyan Academy Bani Walid 2025
مجلة الأكاديمية الليبية بني وليد
e-ISSN: 3104-3860
المجلد الأول، العدد الثاني، 2025

الطريق إلى المصالحة الوطنية والتماسك الاجتماعي

امحمد اشتيوي الدليمي *
قسم العلوم السياسية ، كلية التجارة، جامعة سبها، ليبيا
*البريد الإلكتروني (للباحث المرجعي): amh.aldileemi@sebhau.edu.ly

The Road to National Reconciliation and Social Cohesion

Muhammad Ishtiwi Al-Dulaimi *
Department of Political Science, Faculty of Commerce and Political Science, University of Sabha, Libya

Received: 10-02-2025; Accepted: 16-04-2025; Published: 24-05-2025

الملخص

يهدف هذا البحث للتطرق والتعمق في كيفية تنفيذ المصالحة الوطنية بين أطياف المجتمعات الإنسانية، وكيفية طريقة مبدئ الحوار بين المتصالحين، يأتي على رأس الابعاد المقاصدية للدعوة إلى تصالح البعد الديني ، والذي يتمثل في حفظ الدين الاسلامي الحنيف ، والتمكين له ، فأن الدين أنما يتمكن في قلوب الناس ، وينتشر بينهم ، وتقام أحكامه فيهم في الاجواء السليمة ، أجواء الصلح ، والتسامح والوئام ، أيضاً، والسيرة النبوية المتمثلة في الأحاديث الشريفة التي رؤية عن الرسول ﷺ، يتمثل البعد الاجتماعي للدعوة إلى المصالحة في الخطاب الإلهي ، في حفظ النسل الادمي ، والحفاظ على كيان المجتمع ، وبناء علاقات ودية بين الناس ، أساسها الاخوة الايمانية ، والتعاون على البر والتقوى ، والتواصل ، والتراحم ، مما يجعل جهد الناس يتوجه إلى البناء والاعمار ، وليس إلى التخريب والدمار .بالصلح تتألف القلوب وتصفو النفوس ، ويحيى المسلمون أمة واحدة ، وشعباً واحداً وقبيلة واحدة ، تعارفون ويتعاونون ، ولا تفاضل بينهم ألا بالتقوى والعمل الصالح ، لذلك فأن المصطلح السياسي ، المتمثل في المصالحة الوطنية ، ظهر كتعبير عن النخبة الحتمية التي تمر بها بعض الدول بعد أن شهدت نزاعات ، وخلافات حادة داخلها ، وقد تصل أحياناً إلى حدود الحرب الاهلية ، أيضاً اجتهاد المجتمع للوصول إلى المصالحة الصحيحة، ولترسيخ العدالة داخل المجتمعات. وقد جاء هذا البحث مشتملاً على ثلاث مباحث، وفق خطة منهجية، نشير في هذا المقام إلى عناوين المباحث، تاركين التفاصيل في مواقعها، وذلك كالتالي:

المبحث الأول: المصالحة أصل في الدين.
المبحث الثاني: المبادئ الأساسية للمصالحة الوطنية.
المبحث الثالث: التجارب الإنسانية في المصالحة الوطنية.

الكلمات الدالة: المصالحة الوطنية، المجتمعات الإنسانية، الدين الاسلامي، الحرب الاهلية .

Abstract

This research aims to address and delve into how to implement national reconciliation between the spectrums of human societies, and how to implement the principle of dialogue between the reconciled. At the forefront of the objective

dimensions of the call for reconciliation is the religious dimension, which is represented in preserving the true Islamic religion.
And to enable it, because religion is only established in the hearts of people, and spreads among them, and its rulings are implemented among them in a sound atmosphere, an atmosphere of reconciliation, tolerance and harmony, also, and the Prophet's biography represented in the noble hadiths that are seen from the Messenger, peace be upon him, the social dimension of the call to reconciliation is represented in the divine discourse, in preserving the human race, maintaining the entity of society, and building friendly relations between people, based on the brotherhood of faith.
Cooperation in righteousness and piety, communication, and compassion, which makes people's efforts directed towards construction and reconstruction, not towards destruction and devastation. Through reconciliation, hearts are united and souls are purified, and Muslims live as one nation, one people, and one tribe, knowing one another and cooperating, and there is no distinction between them except in piety and good deeds. Therefore, the political term, represented by national reconciliation
It emerged as an expression of the inevitable elite that some countries go through after witnessing conflicts and sharp disagreements within them, which may sometimes reach the limits of civil war, also the effort of society to reach the right reconciliation, and to establish justice within societies. This research came to include three topics, according to a methodological plan. We refer here to the titles of the topics, leaving the details in their places, as follows:
The first topic: Reconciliation is a fundamental principle of religion.
Section Two: Basic principles of national reconciliation.
The third topic: Human experiences in national reconciliation.

Keywords: National reconciliation, Human societies, Islam, Civil war.

المقدمة:

أن طرح موضوع المصالحة الوطنية والتماسك الاجتماعي، والكتابة فيه، ليس بدعاً من جانبنا، وأقر أن ما كتب في طيات في البحث، لا يعد إضافةً لما كتب في إطار المصالحة الوطنية على مر العصور، بقدر ما هو نشر لثقافتها بين المكونات وتنمية للوعي والإدراك بأهميتها في المراحل التي تمر بها المجتمعات كافةً، وهي مرحلة مفصلية خطيرة، عصفت، أو كادت تعصف بها، المصالحة الوطنية تعني التطبيق الفعلي للقانون وتعني ترسيخ المحبة والتعايش السلمي بين المجتمعات، وهي أساسية للخروج من دوامة الفوضى، وغياب العدالة الملتزمة بالحق والإنصاف وسيادة القانون وسد كل منافذ التناحر والتخاصم إلى حد الفجور، إن إصلاح ذات بين المؤمنين عزيمة راشدة، ونية خيرة، وإرادة مصلحة الأمة تحتاج إلى المصالحة تدخل الرضا على المتخاصمين، ويعيد الوئام إلى المتنازعين، وما تبتغيه الأمة على وجه الخصوص إصلاح تسكن به النفوس وتتألف به القلوب، وتجتمع به الكلمة وتحقن به الدماء.

مشكلة البحث

نتساءل استنكارا هل أوكل الله سبحانه وتعالى إلى أحد على هذه البسطة أن يمارس العنف على الناس؟ وأن يقوم بتقويم الأعمال الدينية لهم قبل الأعمال الدنيوية؟ عدم استخدام العنف باسم الله تعالى حيث أن المجتمعات الإنسانية تمر بأحداث متتالية في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بعض الناس لا يعني معنى المصالحة الوطنية، ينتج عن ذلك صراع بحكم العرق، أو الجنس، أو الطائفة، أو الجغرافيا، أو الصراع النخبوية، أو ما شابه ذلك، قلة التوعية من وسائل الإعلام على الوقائع الحياتية في سجلات التاريخ الوثائق، والأحكام القضائية على مر العصور، وذلك لأجل البحث عن أهم الأسباب الرئيسية لوجود المشاكل، والخلافات والمنازعات بين بني الإنسان، كما أن هناك ضعف في المراجع، لابتعاد البحاث وتجنبهم في دراسة هذه المواضيع لأسباب معينة، وابتعاد الواعض الديني في توعية المجتمعات، ما سبب عدم وعي المجتمعات لأهمية المصالحات الوطنية.

أهداف وأهمية البحث

تهدف المصالحة الوطنية التي ندعوا إليها، ونحث عليها بعد تحليل هذه الدراسة للواقع، وما سبقها، وضوع حد للاقتتال المستمر بين الأطياف وعودة الأمن والاستقرار، تكريس مفهوم الوحدة الوطنية، العمل على إقرار مفهوم المساواة والعدالة بين أطياف المجتمع، بصرف النظر عن الانتمائية السياسية، أو الفوارق الطبيعية كالجنس أو اللون، المتأمل لهذه الأهداف يؤمن يقيناً بأن المصالحة واجب ديني مقدس، ومسؤولية وطنية بامتياز إن أقدامي على كتابة البحث هو من باب إحقاق الحق، وإبطال الباطل، والدعوة إلى الخير، فيكون كل مجتمع من مجموعة من البشر، مختلفون بالضرورة عن بعضهم بعضاً سواء في انتمائهم الديني أو المذهبي أو موقعهم الاجتماعي أو الوظيفي، ولكن يجمعهم جميعاً التزام غير مكتوب بينهم، يتناول حقوق وواجبات كل طرف في المجتمع ومن هنا تحتاج المصالحة، إلى حكم رشيد ويعني الحكم الرشيد مجموعة من المفاهيم الأساسية، كالمساءلة، والشفافية، وحرية تداول المعلومات في المجتمعات.

منهج البحث

أعتمد منهج البحث على الوصف التاريخي، الذي يتعلق بالأوضاع في المجتمعات عبر التاريخية الحديثة، ووصف هذه المجتمعات، غير المصلحات، حسب الزمان والمكان، وتنوعها، والمساهمة في إنجاح المصالحات المتتالية، والمنعطفات التاريخية الحادة.

المبحث الأول

الأركان الأساسية التي تقوم عليها المصالحة في الإسلام

ما من أمة من الأمم إلا وكانت صفة العفو عندها أعظم الصفات وأجملها، وقد سمى الله سبحانه وتعالى نفسه بالعفو الرحيم، كما سماها بالحكيم العليم العزيز شديد العقاب وأوصى بالعفو خلقه، وجعله صفة بارزة في أنبيائه ورسله عليهم السلام.

كما جاء الإسلام لينظم أمور الناس كافةً من حيثُ أنه تنظيم بين الله والإسلام عن طريق عبادات معينة وينظم العلاقة بين الناس في المجتمع، فالإسلام منزل من عند الله، وأن ما ورد في القرآن الكريم يؤكد فكرة المصالحة، كما أن ما أقرته السنة النبوية وسيرة الرسول ﷺ وعلاقته بالمجتمع يؤكد أن الإسلام يرسخ المصالحة والوطنية، كما بنى الإسلام على أساسات يؤكد على المصالحة، وهي على النحو التالي:

الشورى

بلغ الاهتمام بهذا المبدأ أن أصبح أسم الشورى لأحدى سور القرآن الكريم والحقيقة أنه مبدأ منزل من عند الله ولم يتقرر نتيجة مطالبة طائفة من الناس بهذا المبدأ، وهذا المبدأ جاء ذكره في القرآن الكريم تكريماً للإنسان الذي جعله الله في الأرض خليفة. قال تعالى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[1]

وحث نبيه على التشاور مع أصحابه فقال ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[2]

وأن من أهم طرق تحقيق المصالحة الوطنية، هو أستشعار عظمة الأخوة بين المتنازعين، وأستذكار قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3]

لقد طبق الرسول الكريم مبدأ الشورى وطبقه الخلفاء الراشدون للصلاح بين ذات البين وأن لم يطبق مبدأ الشورى فلا يكون ذلك حجة ضد الإسلام. [4]

لا يمكن لأي طرف في النزاع أن يستأثر أحدهما دون الطرف الآخر، وبالتالي لابد من إجراء المشاورات بينهم، فالشورى أساس ديني، وعملي لأنهاء المشاكل، والنزاعات، ولذا فإن من دواعي تحقيق المصالحة الوطنية، هو التشاور، والحوار بين طرفي النزاع. [5]

على أية حال نحن نناقش مبدأ الشورى، علينا أن نتبع خطى الرسول ﷺ الذي كان يستشير المسلمين في معظم الأمور التي تحتاج إلى المشورة في المصالحات في معظم الأمور.

العدل

العدل ضرورة لإقامة المصالحة بالحق وإقرار المساواة بين الجميع حتى تشيع الطمأنينة بين الناس وبنشر الأمن ويجعل الروابط بين أفراد المجتمع قائمة على التوازن والآخاء.

الآيات التي وردت في القرآن الكريم عن العدالة كثيرة، حيث قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾[6]

والأمة الإسلامية مأمورة بإقامة العدل، كما أن الله نهى عن الظلم، والآيات الواردة في القرآن الكريم كثيرة نذكر منها أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[7]

وفي الحديث القدسي من قول الرسول الكريم ﷺ " يا عبادي أني حرمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا "، ومن قول الرسول ﷺ أيضاً " أتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة "[8]

لقد جعل الله تعالى الناس سواسية في أنسانيتهم وكرمهم بالعقل فهم من أب واحد وأم واحدة، إذ كلهم لأدم وأدم من تراب، وهذه المباديء تخدم المصالحة بين الناس، وتجعلهم يقبلون على حب بعضهم بعضاً، مؤمنون بأن رابطة الإنسانية تشدهم إلى بعضهم بعضاً: قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[9]

الحقيقة أن العدل الذي نادى به الإسلام هو عدل مطلق، والعدل أسم من أسماء الله الحسنى، والعدل أيضاً يوصف به الفرد والمجتمع، والعدل عند الأفراد هو اعطاء كل ذي حقٍ حقه أما المجتمع العادل فهو المجتمع المنظم بالقوانين لضمان الحق إلى كل فرد من أفراده، وأساس العدل عدم التحيز، والتجرد عن الهوى.

والواقع أن الإسلام ينظر إلى الناس كافةً نظرة العدل والتساوي لأنهم من أصل واحد، والفرص متكافئة أمام الجميع دون تحيز لأصل أو نسب أو لون.

لتحقيق المصالحة الوطنية فلا مناص من الأعتراف بالآخر المختلف معك فكرياً، أو سياسياً، أو أيدلوجياً.

فضيلة العفو والتسامح

لقد جاء الدين الإسلامي الحنيف بالحب، والتسامح، والصفح، وحسن التعايش مع كافة البشر، ووطد في نفوس أبنائه من المفاهيم، والأسس من أجل ترسيخ هذا الخلق العظيم، ليكون معها وحدة من

الأخلاق الراقية، التي تسهم في وحدة الأمة، ورفعتها، والعيش بأمن وسلام، ومحبة، وتألف، وهذا بين عموم الأمة، فما بالك بين شعب واحد من الشعوب المسلمة، كما هو حال اليوم.

فضل المصالحة الوطنية والإصلاح بين الناس

في الوقت الذي حذر فيه الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين من التخاصم والتهاجر، فقد أمرهم بالمقابل إلى وجوب الإصلاح بينهم، وحثهم على ذلك، ورغبهم فيه، قال تعالى ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[10] ، وفي آية أخرى يقول الله جلت قدرته ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[11]

وقال عز أسمه ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا ﴾[12]

يقول الله تعالى ﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَا وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا﴾[13]

ومن فضل الإصلاح بين الناس، أن الله تعالى جعل القيام به أفضل من الصدقات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيء ﷺ " كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين الأثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته، فيحمل عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة "[14]

لذلك كله فان للإصلاح بين المؤمنين فضل عظيم، وثواب كبير من عند الله جلّ علاه يناله من اراد الله سبحانه وتعالى لهم الخير في الدنيا والآخرة، ويتوجب على كل مسلم أن يقوم بواجب الإصلاح، وذلك أمتثالاً لأمر الله تعالى بالإصلاح، و أمر نبيه ﷺ وخاصةً إذا نظر هذا المصلح لأهمية المصالحة، وما يترتب عليها من آثار ضرورية لقيام المجتمع.

لأهمية المصالحة الوطنية، ها هو الله تعالى يصلح بين المؤمنين من عظيم بركة الله سبحانه وتعالى، ومن كريم عفوه ولطفه بعباده، ورحمته بهم، وحرصه جلّ وعلا على ديمومة الصلة بينهم، يوصى لنبيه ﷺ أن يرشدهم إلى أن ربهم تعالى يصلح بينهم، ويؤلف بين قلوبهم لأجل أبعادهم عن الخلاف، والنزاعات، والخصومات.

أن الله سبحانه وتعالى، ومع كل ما في القرآن الكريم من دعوات إلى الإصلاح، والتآلف، والتكافؤ، والتعاون، والأعتصام بحبل الله المتين، بل وبالإضافة إلى أمتنانه على نبيه بأنه ألف بين قلوب المؤمنين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[15] مع كل ما تقدم ها هو الله تعالى يصلح بين عباده المؤمنين يوم القيامة، وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال:" بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال له عمر رضي الله عنه: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ فقال صلى الله عليه وسلم " رجلان من أمتي حثياً بين يدي رب العزة، فقال أحدهما يارب خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تبارك وتعالى للطالب: فكيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء ؟ قال يارب فليحمل من أوزاري، قال: وفاضت عينا رسول الله عليه الصلاة والسلام بالبكاء ثم قال: إن ذاك اليوم يحتاج الناس إلى من يحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالى للطالب: أرفع بصرك فأنظر للحنان، فرفع رأسه فقال: يارب أرى مدائن من ذهب، وقصور من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا؟ أو لأي صديق هذا؟ أو لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن، قال يارب ومن يملك ذلك؟ قال أنت تملكه، قال بماذا؟ فقال يعفوك عن أخيك. قال يارب فأني قد عفوت عنه، قال الله عزّ وجل: فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: أتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله يصلح بين المؤمنين.[16]

أن هذا الفضل العظيم من ربنا جلت قدرته فيه من الحديث على المصالحة الشيء الكثير، وفيه دليل عظيم على أهمية المصالحة والتصالح بين المؤمنين، ويتوجب على أصحاب الخصومات أن يلتقوا إلى شرع الله جلّ وعلا، فيتقدم جانب المصالحة الوطنية والسلم الأجتماعي على جانب القتال، وليعلوا

صوت العقل على صوت الرصاص، وتتسامى لغة السلام على لغة الحرب، وتسود ثقافة التسامح، على ثقافة الثأر والأنتقام.

لا يمكن لمؤمن أن يلتفت إلى الكذب، أو يرضاه سلوكاً في حديث مع الناس، حيثُ إنه من المعاصي والآثام، فضلاً عن أن فطرة الإنسان السوي لا تستغيه، ويحذر المرء كل الحذر أن يكون كاذباً، أللهم إلا إذا كان ذلك الكذب لغرض رأب الصدع، والإصلاح، وتسوية خصومة بين المؤمنين، فها هو النبي صلى الله عليه وسلم يخبرنا عن جواز الكذب في الإصلاح، فعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت من المهاجرات الأولى، اللواتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " ليس الكذب يصُلح بين الناس فينهي خيراً، أو يقول خيراً " [17]

قال أبن شهاب رحمه الله تعالى " ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل أمرأته، وحديث المرأة زوجها " [18] من الملاحظ : هنا يحق أن تسأل أيها القاريء الكريم، أكان الله سبحانه وتعالى يجيز الكذب في الإصلاح بين الناس لو لم يكن لهذا الإصلاح أهميته؟

وعليه فإن الإصلاح بين الناس واجب شرعي، وذو أهمية قصوى، والأمة في أمس الحاجة إليه حال حدوث النزاعات والصراعات بين أبنائها.

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشرع في الحديث من قول الله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[19]

هذه الآية الكريمة دليل واضح وصريح على أن الأجتماع، والتآلف، وإصلاح ذات بين المسلمين أصل عظيم من أصول الدين الإسلامي الحنيف.

فهذه الآيات وغيرها كثير من النصوص القرآنية التي تأمر بالجماعة والإئتلاف وتنهي عن الفرقة والأختلاف، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة.

المبحث الثاني

المبادئ الأساسية للمصالحة الوطنية

المدخل الأساسي للمصالحة الوطنية

لعل من غير الموضوعي أن نقفز للحديث عن ماهية المصالحة الوطنية بين مكونات المجتمع، سواء منها القبلية، أو السياسية، أو العلمية، أو الثقافية، أو الفعاليات الشبابية، دون أن نتطرق إلى تحديد بعض المفاهيم، وضبط العديد من المصطلحات التي نرى ضرورة معرفة ما يقصد بكل منها، وذلك إما نظراً إلى أهميتها في عملية إتمام وتحقيق المصالحة الوطنية، وإما لأنها من الأسس التي يجب أن يعرفها كل المجتمع، يبتغي الخير لوطنه، ويسعى جاهداً لرأب الصدع الذي حل بأي وطن كان.

مفهوم الوطن: بعيداً عن الخوض في التعريف اللغوي لكلمة وطن.[20] والمدلولات اللغوية لأشتقاقات الكلمة، تكتفي بالتعريف الأصطلاحي للوطن، كمفهوم سياسي، ترتبط به العديد من المفاهيم الأخرى، وعمدنا في التعريف الإصطلاحي للوطن، هو ما نقله الجرجاني في كتابه ذائع الصين(التعريفات)، حيثُ عرّف الوطن بقوله: الوطن الأصلي هو مولد الرجل، والبلد الذي هو فيه[21] في حين نجد أن الوطن بالمعنى العام في المعجم الفلسفي يعني منزل الإقامة، والوطن الأصلي هو المكان الذي ولد فيه الأنسان، أو نشأ فيه.

وعلى السابق ذكره، نرى أن الوطن هو بقعة الأرض التي تولد عليها، وتستقر فيها جماعة ما، وتكون هذه البقعة بيئة حاضنة دائمة لأفراد الجماعة المتواجدة عليها، مستقلين، ومجتمعين.

وقد تعارفت الجموع في عصرنا الحاضر، على الوطن بالنظر إلى الحصول على الجنسية، أو رابطة الجنسية، حيثُ أن هذه الأخيرة تعد لبنة متماسكة في بناء الوطن العام، الذي يحد بالحدود الجغرافية.

والوطن الذي نقصده في دراستنا هذه، هو بقعة من الأرض عزيزة على قلوبنا، وهي الأقليم، والشعب، والسيادة.

مفهوم الوطنية: لم ينعقد إجماع الباحثين والمفكرين، والساسة، على تعريف واحد لمفهوم الوطنية، وذلك بأختلاف المناهج الفكرية لديهم، وبحسب الزاوية التي ينظرون من خلالها للوطنية.

فمن الباحثين من جعل الوطنية عقيدة يوالى عليها، ويعادى على أساسها، ومنهم من جعلها تعبيراً عاطفياً، وجدانياً، يندرج داخل إطار العقيدة والأنتماء، ويتفاعل معها.

الوطنية هي تقديس الوطن، بحيثُ يصير الحب فيه، والبعض لأجله، والقتال في سبيله، الوطنية هي العاطفة التي تعبر عن ولاء الإنسان لبلاده، يعني الوطنية أنتماء الأنسان إلى دولة معينة يحمل جنسيتها، ويدين بالولاء لها، كما أن الوطنية في نظر بعضهم هي واجب الإنسان نحو وطنه، الوطنية في الموسوعة العربية العالمية هي تعبير قومي يعني حب الشخص، وأخلاصه لوطنه.[22]

قد تطور مفهوم المواطنة عبر تاريخ الإنسانية خلال القرون الخمسة الأخيرة حيثُ كان الأصل حق أكتساب المواطنة الكاملة مبني على العرق، واعتبر المواطن هو المولود من أبوين من ذات النسيج الإجتماعي (القبلي، أو الأثني)، المتوحد في ذات الوطن.

تحقيق المصالحة الوطنية

فكرة المصالحة الوطنية من السمو، والإنسانية، بحيثُ لا يمكن لذي عقل أن يعترض عليها، أو يعارض قيامها، وخاصةً في ظل توافر مقوماتها، وأبعادها المقاصدية.

إن المصالحة الوطنية الحقيقية والشاملة، هي بصيص الأمل لكل الراغبين في وأد الفتنة وطي الماضي، وكل من يجذف في الأتجاه الصحيح كي ترسوا السفينة على بر الأمان، وكي تنجو الأجيال الحالية، والقادمة من ويلات الحرب، وبتعاتها، ولتصفوا الذاكرة والقلوب في المجتمع.

أن الوصفة الأنجح، والأمر الأحوج اليوم، هو الإسراع في تحقيق المصالحة الوطنية، وخلق وئام أجتماعي ووضع الأسس الصحيحة لبناء دولة المستقبل، التي ستكون للمجتمع بمختلف أطيافهم، وتعدد رؤاهم، مع أعتماد الديمقراطية والشورى فيما يتعلق بالأنتماءات السياسية لهم.[23] من الإنصاف القول بأن المصالحة الوطنية والسلم الإجتماعي، ورغم زعمنا اليقيني بأن أنسانية الشعب، والوازع الديني لدى مختلف شرائحه، ومكوناته، والخلقية التألفية للمجتمعات العريقة، وإيماننا بأن الواد الأعظم من الشعب لن يتأخر في الدعوة إلى تحقيق المصالحة الوطنية على مختلف المستويات، إلا أنه يجب التذكير بأن تحقيق المصالحة الوطنية يتطلب التغلب على العديد من المعوقات التي تقف حجر عثرة في طريق قيام المصالحة.[24]

بناءً على ما سبق، نحاول التعرض هنا إلى اهم المعوقات التي تعترض قيام المصالحة الوطنية، مع بيان سبل التغلب عليها، وتجاوزها لأجل مصلحة أسمى، وهدف أنبل، وغاية أولى بالتحقيق والرعاية، وهي المصلحة العليا للوطن.

معوقات تحقيق المصالحة الوطنية وسبل التغلب عليها:

أسلفنا القول بأن المصالحة الوطنية ضرورة ماسة، وحاجة ملحة كي ننأى بوطننا عن معاودة كرة الحرب، وويلاتها، وإعادة إنتاج مأساتها، بعد أن سئمها الشعب، رغم دفعة الثمن الباهظ من جرائها، مع التأكيد على أن قيام الحرب لعدة المرات هو إذأن بأنتهاء الوطن، وضياعه، وهو توسيع لهوة الفرقة، والخلاف، وتدمير ممنهج للدولة، وإبادة حتمية للشعب.

وهنا يتراءى لنا، ولكل الغيورين على الوطن، بأن المخاوف السالفة تجبرنا على البدء الفوري في تحقيق المصالحة الوطنية، وفق المسار الصحيح لها، على أن ذلك يتطلب التغلب على معوقات تحقيق المصالحة الوطنية، والتي تتمثل في:

غياب وعي ثقافة المصالحة الوطنية.

بما أن الفيصل في الشؤون الداخلية لكافة الدول، هو إرادة الشعوب، فلا تعارض البتة بين قولنا إن الشعب يرغب فطرة، ويناّ...

تحقيق المصالحة الوطنية، وقولنا إن من أهم معوقات قيام المصالحة الوطنية هو غياب وعي وثقافة المصالحة، حيثُ إن الرغبة في الشيء، تختلف عن الوعي بأهميته، والعمل على تحقيقه، حيثُ ينبغي على كل فئات، ومكونات الشعب العمل على تحقيق المصالحة الوطنية ولو على أدنى المستويات، إسهاماً في تحقيق المصالحة الوطنية على المستوى العام، أي على مستوى الدولة.(25)

في هذا الإطار، وحصاً على تنمية الإدراك بأهمية المصالحة الوطنية، نرى أنه من الضروري تداول الحديث عن المصالحة الوطنية، في المجتمع على أوسع نطاق داخل أبناء الشعب، وذلك عبر المنابر الإعلامية المختلفة، وضمن الرسائل النصية عن طريق شركات الأتصالات، وكما يمكن تداولها، والإطلاع عليها عبر المواقع الألكترونية، وعلى صفحات مواقع التواصل الإجتماعي كالفيسبوك، والتويتر، واليوتيوب، وغيرها.

ينبغي الأهتمام بالمصالحة الوطنية، وجعلها المادة الإعلامية الأكثر عرضاً، والموضوع الأكثر تناولاً بين مختلف الشرائح، كمؤسسة الدولة، والقيادات القبلية والأجتماعية، وبين الأكاديميين وأساتذة الجامعات، ومؤسسات المجتمع المدني، وبين الفاعليات الشبابية، والناشئة بشكل ضروري، حتى تصبح المصالحة الوطنية هاجماً، وقضية رأي عام، يوفر الحراك لأجل تطبيق المصالحة الوطنية، وإنجازها في أسرع وقت.

يلاحظ إن مشروع المصالحة الوطنية ما يجب أن يجد رضاً شعبياً مؤيداً له، وإرادة شعبية حقيقية لتطبيقه، والأنتقال به من التنظير إلى الممارسة على أرض الواقع.

حيثُ إنه في ظل إهمال مشروع المصالحة الوطنية، أو التباطؤ في تطبيقه، وغياب الوعي بأهميته، وضرورة المصالحة الوطنية، وتخشى أن يتولد الأحساس لدى المصلحين باليأس من تحقيق المصالحة الوطنية، وخاصةً عندما يخشى المصلحون من وجود شاهري سيوف التخوين.

المبحث الثالث

التجارب الإنسانية في المصالحة الوطنية

لقد أشتمل كتاب الله الكريم على صور رائعة، ومشاهد واضحة، ووقائع حياتية حقيقية عن المصالحة الوطنية والسلم الإجتماعي، من سير وقصص الأنبياء والمرسلين، حتى يقرب لأذهاننا صورة المصالحة، ويكون في ذلك تشجيع لنا عليها من خلال أقتدائنا بالسالفين من المصلحين.

المصالحة في عهد الرسول ﷺ

بدايةً نؤكد على أنه لا يمكننا حصر المواقف الحياتية للنبي ﷺ والتي يظهر فيها مصلحاً أو متصالحاً، حيثُ إن كل حياته خير، وكل أقواله وأفعاله وتصرفاته كانت خيراً في خير، فهو يصلح بين خصمين أثنين تارةً أو بين قبيلتين تارةً أخرى، أو بين المسلمين وغيرهم في تارةً ثالثة، لقد أتخذ النبي ﷺ سياسة المصالحة خياراً أستراتيجياً، وحلاً مثيلاً في حياته، ودعوته، والتي تجلت في العديد من المواقف التصالحية.

المصالحة الوطنية بين سكان المدينة المنورة

تعد هذه المصالحة الوطنية التاريخية، التي أنجزها النبي ﷺ في السنة الأولى للهجرة، بمثابة دستور إنساني على الصعيد الداخلي، وكأتفاقية دولية على الصعيد الخارجي، ولقد كانت بين المهاجرين إلى المدينة من أهل قريش من جهة وأهل المدينة من أوس وخزرج من جهة ثانية واليهود المقيمين في المدينة من جهة ثالثة.

ثم توثيق وثيقة بين الأطراف، تشير إلى مجموعة من الحقوق الأساسية للإنسان التي جاءت للتوكيد عليها وأهمها:

أولاً: التأكد على المساواة أمام القانون، وسيادة القانون على الجميع دون تمييز بين قوي وضعيف.

ثانياً: عدم التميز القائم على الجنس، و اللون، أو الأصل.

ثالثاً: التأكيد على حرية العقيدة. (26)

فيا لله ما أعظمها من وثيقة، وما أروعها من ميثاق شرف وطني، ومصالحة وطنية حقيقية تجمع بين من يشتركون في الوطن، بلا إقصاء، ولا تهميش، لأنهم مواطنون بالمدينة.

هنا انادي الذين يؤمنون بمنهج محمد ﷺ ألم يقل الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(27) لقد أصلح سيد المصلحين ﷺ بين المهاجرين معه من مكة المكرمة، والأنصار الذين ناصروه حال مقدمه عليهم صلوات ربي وسلامه عليه. (28)

تلك المصالحة التي أشاد الله تعالى بها، وبأطرافها، وبقيت مدونة تتلى في كتاب الله جلت قدرته، كي نتدارسها جيلاً بعد جيل، يقول الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(29)

فتح مكة المصالحة والعفو:

في السنة الثامنة من الهجرة نصر الله عبده ونبيه محمد ﷺ على كفار قريش، ودخل النبي ﷺ مكة المكرمة فاتحاً منتصراً، وأمام الكعبة المشرفة وقف جميع أهل مكة، وقد أملأت قلوبهم رعباً وهلعاً، وهم يفكرون في حيرة وقلق، فيما سيفعله معهم رسول الله ﷺ بعد أن تمكن منهم، ونصره الله عليهم، وهم الذين أذوه، وأهالوا التراب على رأسه الشريف وهو ساجد لربه، وهم الذين حاصروه في شعب أبي طالب ثلاث سنين، حتى أكل هو ومن معه ورق الشجر، بل وتآمروا عليه بالقتل ﷺ ، وعذبوا أصحابه أشد العذاب، وسلبوا أموالهم، وديارهم، وأجلوهم هن بلادهم، لكن رسول الله ﷺ قابل كل تلك الإساءات بالعفو، والصفح، والحلم، قائلاً (يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وأبن أخ كريم، فقال ﷺ فأنتم الطلقاء). (30)

وفي هذا الفتح من الدروس العظيمة، والعبر والعظمات، ما تعجز عن وصفه الأفهام، وعن تصوره العقول، إذ فيه ما يلي:

1- بيان عاقبة نكث العهود، وأنه وخيم للغاية، إذ قريش تكتب عهدها، فحلت بها الهزيمة، وخسرت كيانها الذي كانت تدافع عنه وتحميه.

2- مشروعية إنزال الناس منازلهم، تجلى هذا في إعطاء الرسول ﷺ أبا سفيان كلمات يقولهن، فيكون ذلك فخراً له وأعتزازاً، وهو: من دخل دار أبي شفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل داره وأغلق بابه فهو آمن، ينادي بأعلى صوته، وبذلك يحقن النبي ﷺ دم أبا سفيان، ويحفظ له ماء وجهه، ويستميله إلى الإسلام، فيا الله ما أكرم رسول الله ﷺ .

3- في الإسلام: (لا ويل للمغلوب، وإذا كان من شأن المنقد أن يستبد ويملي شروطه بدافع الغيظ، التشفي، والإنتقام، والغرور بالقوة، فإن الرسول الكريم ﷺ رغم ما فعلت قريش ضد الإسلام والمسلمين، لم يفعل شيئاً من ذلك، بل كان كل همه وكل قصده أن يؤلف القلوب ويجعلها تقبل على الإسلام الذي هو دين الإسلام). (31)

إن فتحاً مبيناً كفتح مكة، وما أشتمل عليه من دروس وعبر، وبيان حكمة النبي ﷺ في جمع القوم، وتوحيد الكلمة، والعفو والمصالحة الوطنية مع قريش، الا يكون مشجعاً بقيام المصالحة الوطنية عند المسلمين، وخاصةً إذا تأملنا في العفو يوم الفتح وكيف كان.

لقد تجلت أخلاق النبي ﷺ في فتح مكة، حيثُ فاق كل ما وصلت إليه الأنظمة السياسية، والجنائية فيما يتعلق بقانون العفو والتسامح، حيثُ أخذ النبي ﷺ قراراً دستورياً، وقل إن شئت قانوناً سريعاً بإسم العفو المحمدي الكبير، وهو العفو العام الشامل، والعفو المطلق.

ولك أن تتأمل في تلك الكلمات التي نطق بها النبي ﷺ ومنها: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن). [32]

إن ذلكم العفو الذي أصدره النبي ﷺ عن قريش العدو الأدلة، ولرسالته ﷺ يلجم أفواه دعاة الأنتقام، ويسكت أصوات هواة الثأر والتشفي، فمن ذا الذي ناصب لخصمه العداء كما ناصب أبو سفيان العداء للنبي ﷺ ومن تآمر على خصمه كما تآمر أبو سفيان على الرسول ﷺ؟ ومن جهز جيوشه ليقضي على رسول الله ﷺ وعلى رسالته كما فعل أبو سفيان؟ ومع كل ذلك يعفو عنه ﷺ، وعن زوجه وعن قرابة أبي سفيان، وعن أعوانه، وجنوده، وكل من دخل داره. [33]

ومن هنا الا تؤخذ العبرة من هذا الفتح، ومن تصرف النبي ﷺ ، هو المنتصر الذي لو أراد سفك دماء كل من كان في مكة حينها لفعل، ولو أراد تمزيق لحومهم لأستطاع، ولو كان يبتغي أن يبيدهم عن بكرة أبيهم ما منعه من ذلك شيء، ولكنه يتغاضى، ويتسامى، ويترفع، فينتقل من حال الأنتقام إلى السلام، ومن المعاقب إلى العفو، ومن المحارب إلى المتصالح.

المصالحة الوطنية اللبنانية

أستمر لبنان بأحتقانات متصاعدة، ومتنامية حتى أنفجرت تلك الأحتقانات في العام 1975م، لتدخل البلاد في نفق مظلم، وحرب أهلية الأمد، ولا داعي هنا للخوض في بيان الأسباب التفصيلية لها، وأحداثها الطويلة.

ولذا سنكتفي بالإشارة هنا إلى تجربة خلق مصالحة وطنية في لبنان التي حاربت أهلياً لما يزيد على خمسة عشر عام، ويقدر عدد ضحايا الحرب الأهلية اللبنانية بمائة وخمسين ألف قتيل، وثلاثمائة ألف جريح، ومعوق، وسبعة عشر ألف مفقود، وهجرة أكثر من مليون نسمة، في بلد كان عدد سكانه أنذاك ثلاثة مليون نسمة، كما أن الخسائر المادية فاقت المائة مليار دولار. [34]

بعد المدة المشار أليها، والخسائر الأنسانية (البشرية)، والمادية المشار إليها، وفي عام 1990م أنعقد في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية ميثاق لبناني، عرف تاريخياً بأتفاقية الطائف. [35]

الملاحظ: أن بناء المصالحة الوطنية في لبنان بعد الحرب الأهلية الطويلة، والآلام الناجمة عنها، لم يكن بالأمر اليسير، فالكل قد تلطخت أيديهم بدماء بعضهم البعض، والكل أستجابوا لأنتمائاتهم الطائفية، والحزبية على حساب أنتمائهم الوطني.

قد أدى ذلك إلى أنعدام الثقة بين الفرقاء، بل وتطورها لعداء مفرط، وأتهامات طويلة بينهم، بحيثُ أصبحت لا تسمح لأحد المتورطين بأن يطرح نفسه كمقرب لوجهات النظر، وكادت لبنان أن تغرق في وحلها، ولقد كان المنقذ لذلك هو وجود نية حقيقية لدى الكثيرين، والهاجس العام، وإدراك لخطورة المرحلة، يتطلب إتمام عملية المصالحة الوطنية في لبنان. [36]

أن الدخول بعملية تحليل الآحداث اللبنانية، والإبحار في سبب قيام مصالحة حقيقية في لبنان، يؤكد ما ركز عليه الوسطاء، وخاصةً المملكة العربية السعودية، والأهتمام بدور القيادات، والتعمق للوصول إلى الشعب، ومتطلباته، ومعاناته، ومحاولة حل مشكلات جذرية كسلاح الأحزاب، والتنوع الحزبي، وثم تأسيس دولة ديمقراطية مدنية حديثة.

ولا شك أننا تعمدنا أختيار التجربة اللبنانية من بين عشرات التجارب الإنسانية حول المصالحة الوطنية، وذلك لأن لبنان تغلب على الحرب الأهلية التي كانت أكثر ضراوة وأستطاع لبنان التسامي عن جراحاته التي كانت أكثر غوراً.

خشية المصالحين من التخوين

لقد صار صكُّ التخوين جاهزًا على ألسنة الكثيرين من أبناء الشعوب، ومن طرفي النزاع على حدٍّ سواء، حتى غدا التخوين منهجًا لكل من يطرح فكرًا مغايرًا لتوجهات فريقه من الفريقين. ويزداد الأمر سوءًا إذا ما تحدّث بعضُ الخيرين من الطرفين عن أهمية وضرورة المصالحة الوطنية مع الطرف الآخر، حفاظًا على المصلحة العليا للوطن المشترك.

يمكن القول – للأسف – إن الحديث اليوم عن الوعيد، والانتقام، والثأر، والتشفّي، في غياب الإحساس بضرورة وقف نزيف الدم، ووأد الفتنة، والإيمان بالتعايش المشترك، قد أصبح عادة يومية، وحديثًا مستمرًّا. وإنّ الصدع بالحق اليوم نراه من الضرورات.

كما أن المصالحة تمتزج بالعفو، وهو صميم المعروف، وعلى المصلح أن يقتدي بأثر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال الله تعالى:

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ﴾.

إن واجب الدعوة إلى المصالحة الوطنية هو واجب مقدّس، لا مزايدة فيه لأحد على أحد. وتجد هذه الدعوة سندًا لها في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، ثم بعد ذلك هي نتاج تراكم حضاري، وتجربة ضمن العديد من التجارب الإنسانية في المصالحة الوطنية، تحكمها حتمية التنازع بين البشر، ويقابلها حتمية وجود الإصلاح، وضرورة وجود المصلحين.

لا ننكر أن كل من يتصدّر الحديث عن المصالحة، هو اليوم في مرمى أحجار المغتابين، والذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وسيكون عرضة للحديث عنه في مجالس الهمز، واللمز، واللغو، والعبث، مع إساءة الظن به، وتصنيفه إلى هؤلاء أو أولئك، لثنيه عن رسالته، وصرفه عن سواء السبيل.

إلا أنه ينبغي على المصلحين تحمُّل ذلك، والصبر، وعدم اليأس، والرضا بالمكانة التي أنزلهم الله تعالى فيها، وحسبهم شهادة ربهم تعالى حيث قال:

﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

من هنا، أعود لتذكير القارئ الكريم بواجباتنا تجاه الساعين في المصلحة الوطنية، قائلًا لكل مصلح يبتغي وجه الله تعالى:

أمضِ في طريق الخير، ولا تستوحش من السير في طريق الحق لقلّة السالكين.

أصحاب المصالح الخاصة وأصحاب السوابق الجنائية وتعطيلهم للمصالحة الوطنية:

إنّ مما نراه حجر عثرة في طريق تحقيق المصالحة الوطنية، والخروج بها من بحر سفك الدماء إلى برّ حقنها، ووقف نزيفها، وعودة الحياة الطبيعية والسلم الاجتماعي، بالإضافة إلى ما سبق، يتمثل في دسائس أصحاب المصالح الخاصة والامتيازات من طرفي النزاع، الذين لا يهمهم أمن الوطن واستقراره، بقدر ما تهمهم الاستفادة الشخصية. ويستوي في ذلك من يبحثون عن المناصب والمواقع القيادية، وتجار الأزمات، والمتربحون من الحروب والاقتتال.

إن مسار المصالحة الوطنية، إذا تُرك في قبضة أصحاب المصالح الخاصة من رجال المال والسلطة والنفوذ، واستمرّت سيطرتهم على زمام الأمور، فهو تضييع للوطن، وانحراف لمشروع المصالحة الوطنية عن مداره الصحيح الذي يجب أن يدور في فلك مصلحة الوطن، إلى الدوران في فلك

المصالح الشخصية لبعض الأفراد. واستمرار هذا التدهور والانحسار سيؤدي في النهاية إلى دخول الوطن في طور الاحتضار، ثم الوفاة، فالضياع والتفكك.

إنّ مسار المصالحة الوطنية اليوم **ضرورة حتمية**، وينبغي ألا يُترك أمرها لمن لهم مصالح خاصة ومآرب شخصية، بل يجب **تقديم مصلحة الوطن ووحدة الشعب، وتقدير معاناة الأسر، واحترام المبادئ التي يحملها أبناء الوطن والمتأصلة في قبائله العريقة بلا استثناء**، وكذلك صوت الضمير الذي يؤنب الجميع اليوم، ويجعل الألم يعصف بالشيب والشباب، والرجال والنساء. وما سيُكتب في ذاكرة الأجيال القادمة يُحتّم علينا العمل الجاد، والسعي الدؤوب لتحقيق مسار المصالحة الوطنية.

أصحاب السوابق الجنائية من أبرز الرافضين للمصالحة الوطنية. ومن البديهي أن الجناة أو من اعتادوا ممارسة الجريمة لا يعيشون إلا في أجواء الفوضى، واختلال الأمن، وانتشار السلاح، والقتل، والدمار... هؤلاء لا يبتغون للمجتمع أمنًا ولا استقرارًا، بقدر ما يحرصون على استمرار الفوضى والعبثية، واختلال الأمن، إذ يرون في تلك البيئة المناخ المناسب للجريمة، وميدانًا لنشاطهم الإجرامي.

ومما سبق، يُلاحظ أن أي مبادرة للمصالحة الوطنية ستتضمن، بل ربما من أساسياتها، **سيادة القانون، وتفعيل القضاء، وخضوع الجميع للعدالة**.

أضف إلى ذلك أن مشروع المصالحة الوطنية لا يمكن، بحال من الأحوال، أن يتجاوز الجرائم الفردية التي ارتكبها الأفراد، وطال صداها المباشر أفرادًا آخرين. وفي حين يمكن – تأسيسًا على المصلحة العليا للوطن – التغاضي عن الأحداث الجماعية، فإن الجرائم الفردية لا تُنسى، ولا يجوز تمييعها.

وطالما الأمر كذلك، فليس غريبًا أن نجد أبرز الرافضين للمصالحة الوطنية، أو الذين يعملون على تعطيلها، هم **أصحاب السوابق الجنائية والجناة من طرفي النزاع**، الذين يدركون تمامًا أن المصالحة الوطنية لن تغفر لهم إجرامهم، وأن المواطنين الذين يملكون الحق في ملاحقتهم قانونيًا لن يتأخروا في ذلك، وأن مثولهم أمام العدالة أمرٌ محتوم.

من هنا، **يجب أن يتصدر أهل الخير، وأصحاب الأنفس الطيبة، مهمة المصالحة الوطنية**، وأن يسعوا جاهدين لتقويم المعوج، ورأب الصدع، وإصلاح المنحرفين، **حفاظًا على الوطن الحبيب**.

.

الخاتمة والنتائج والتوصيات

إنّ ما نراه واقعًا أليمًا في المجتمعات الإنسانية من انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان الأساسية، يندى له الجبين عرقًا، وينفطر له القلب عمدًا وغيظًا، يعود سببه إلى الفتاوى الدينية غير المسؤولة، والآراء الشاذة، المبنية على اتباع الهوى. ويسعى أصحاب هذه الآراء إلى المجد والشهرة، لا إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل، وذلك على حساب دماء المجتمع، من خلال الزج بأفراده ليقعوا ضحية آلة الحرب القاسية.

ولا شك أن العنف قد يُمارس في المجتمعات، ولكن في أطر مشروعة، كالدفاع عن النفس، أو استنادًا إلى حق تقرير المصير، أو استنادًا إلى مبادئ حقوق الإنسان. أما أن يُلجأ إلى العنف باسم الله تعالى أو باسم الدين، فهو محظور ومنافٍ لتعاليم الدين ذاته. إنّ استخدام الدين الإسلامي ذريعة لممارسة العنف، كما هو حاصل اليوم من قِبَل تيارات دينية متنازعة، يُعطي صورة مشوهة عن الإسلام الحنيف، ويُوفر مبررًا لاندفاع الناس نحو الاقتتال وسفك الدماء، وذريعة لتحقيق المصالح والغنائم.

لذا، ينبغي أخذ المبدأ الأساسي في أي عملية مصالحة وطنية بعين الاعتبار، وهو **عدم توظيف الدين لخدمة مصالح ضيقة**، بل يجب توجيه الدين الإسلامي الحنيف لخدمة المجتمع، وتمثيل البعد الاجتماعي للدعوة إلى المصالحة الوطنية، كما ورد في الخطاب الإلهي، الذي يدعو إلى حفظ النسل والإنسان، والحفاظ على كيان المجتمع، وبناء علاقات ودية بين الناس، أساسها الأخوة الإيمانية، والتعاون على البر والتقوى، والتواصل، والتراحم. ذلك ما يجعل جهود الناس تتجه نحو البناء والإعمار، لا إلى الهدم والدمار.

فبالصلح تتآلف القلوب، وتصفو النفوس، ويحيا المسلمون أمة واحدة، وشعبًا واحدًا، وقبيلة واحدة، يتعارفون ويتعاونون، ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح.

استنتاج

إنّ الظروف التي تحول دون ترسيخ المصالحة الوطنية كثيرة، وأهمها: ابتعاد المجتمع عن تطبيق الشريعة الإسلامية والسيرة النبوية، وخطورة الانحياز إلى القومية والقبيلة، باعتبارها سببًا رئيسيًا للمنازعات والخلافات العقدية والإيديولوجية؛ حيث إنّ من أخطر المنازعات بين الشعوب والأمم: العصبية القومية، والصراع القومي، والنزاعات القبلية، لا سيما بعد أن تم النظر إلى المفهوم القومي والعنصري كإطار سياسي واقتصادي وأمني، له نظرياته وممارساته.

كما أن من أبرز الرافضين للمصالحة الوطنية: أصحاب المصالح الخاصة، وأصحاب السوابق الجنائية، إذ إنّ هؤلاء قد اعتادوا العيش في أجواء الفوضى، واختلال الأمن، وانتشار السلاح، والقتل، والدمار. كذلك يُعد غياب القانون من العوامل المعيقة للمصالحة، لذا يجب على المجتمعات أن تعمل على تفعيل القوانين داخل كل دولة، حتى تُطبّق العدالة، ويُوجد الأمن والأمان، ويتساوى الجميع أمام القانون.

ومن خلال دراستنا لموضوع المصالحة الوطنية، نصل إلى العديد من التوصيات، أهمها: أن المصالحة الوطنية ضرورة حتمية لكل أمة، لا خلاف عليها، ولا مطعن فيها من وجهة نظرنا، إلا أنها تبقى مسألة مثالية، وإطارًا نظريًا ما لم توجد وسائل لتطبيقها على أرض الواقع وتجسيدها عمليًا. وللمصالحة الوطنية خطوات ينبغي اتباعها للتمهيد لها، وأهم هذه الخطوات نعتقد أنها تتمثل في ما يلي:

- **الاستدلال بالدستور الإلهي**، المتمثل في القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة المنقولة عن الرسول ﷺ، حيث يدعو الله سبحانه وتعالى المسلمين إلى الاحتكام إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ في حال حصول الخلاف والنزاع بينهم.
- **تفعيل القانون**، وذلك بتنفيذ الأحكام الصادرة عن مؤسسات العدالة بشكل حازم، دون تسويف أو تأخير. إن هذه المعايير هي الأساس في ترسيخ مفهوم القانون في المجتمع، إذ يتوقع الأفراد نظامًا قانونيًا يقوم على وضوح القوانين، وشفافية إجراءات التقاضي، وحزمٍ في تنفيذ الأحكام القضائية النهائية.
- **لزوم العدل والتقوى في الصلح**، لأن الصلح إذا صدر عن هيئة اجتماعية معروفة بالعدالة والتقوى، وجب على الجميع الالتزام به، والتقيد بأحكامه، تحقيقًا للحق، وضمانًا للمصالحة الحقيقية، التي تحفظ الحقوق لجميع المواطنين، وتصونها، وتحدّد الواجبات، وتعزز الالتزام بها، مع تقديم مصلحة الوطن فوق كل اعتبار.

أما بخصوص الشخصيات المؤهلة للمشاركة في بناء المصالحات الوطنية، فينبغي أن تتوفر فيها الصفات التالية:

- أن يكون الشخص من أهل الشورى، وهم عامة المسلمين.
- أن يكون ذا دين وتقوى، فإنّ ذلك هو عماد الصلاح وباب النجاح؛ فصاحب الدين مأمون السريرة، موفق العزيمة، عاقل، ذو تجربة.
- أن تتوفر فيه **التجربة**، إذ بكثرة التجارب تصح التدابير؛ لذا يُقال: *استرشدوا بالعاقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا*.
- **العلم**، والمقصود به العلم بمعناه الواسع، فيشمل علم الدين، والسياسة، وسائر العلوم التي تُعين على فهم الواقع وتحقيق المصلحة.
- **الأمانة**، وهي من الصفات الضرورية؛ إذ يُشترط أن يكون من الأمناء، القادرين على حمل أمانة العمل، ممن لم يُعرفوا بالتقرب من الحُكام، أو السعي وراء مصالح دنيوية، بل هم الذين يُطلبون ولا يطلبون، ويُسعى إليهم ولا يسعون إلى المناصب، ويتصفون بالنزاهة، والعدل، والاعتدال.

الهوامش

1- سورة الشورى الآية (38) .
2- سورة أل عمران الآية (159) .
3- سورة الحجرات ، الآية (10) .
4- د. محمود سعيد عمران واخرون ، النظم السياسية عبر العصور ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1999 ، ص (282).
5- د. عبدالسلام جمعة راقود ، مسار المصالحة الوطنية والسلم الاجتماعي ، دار زحران لنشر والتوزيع ، عمان ، 2014 ، ص (229).
6- سورة النحل الاية (90) .
7- سورة أل عمران ، الآية (182).
8- محمد عبدالمعظم محمد ، حرمة الحياة الخاصة في ظل التطور العلمي الحديث ، دراسة مقارنة رسالة دكتوراه غير منشورة ظن جامعة القاهرة ، كلية الحقوق ، القاهرة ، 1988 ، ص (115).
9- سورة الحجرات ، الآية (13).
10- سورة الانفال ، الآية (1) .
11- سورة الحجرات ، الآية (10) .
12- سورة الحجرات الآية (9) .
13- سورة النساء ، الآية (85).
14- مسند الامام أحمد بن حنبل ، عن عبدالرحمن بن صخر ، الحديث رقم (7985).
15- سورة الانفال ، الآية (63).
16- مشيخة أبن الجوزي ، أنس بن مالك رضي الله عنه ، الحديث ، رقم (49).
17- مسند الامام احمد بن حنبل ، عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها ، الحديث رقم (26632).
18- الخطيب البغدادي في الفصل للوصول المدرج للنقل ، أيضاً عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها ، الحديث رقم (177).
19- سورة الانفال ، الآية (1).
20- للاطلاع الكامل على التعريف اللغوي لكلمة وطن أنظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة(وطن ، وأيضاً : المعجم الوجيز ، معجم اللغة العربية ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة ، 2025 ، ص (411).
21- علي بن محمد الشريف الجرجاني ، المتوفى سنة 816 هـ ، التعريفات ، دار النفائس ، عمان الاردن ، 2007 ، ص (431) .
22- عبدالمنعم عبدالوهاب ، جغرافية العلاقات السياسية وكالة المطبوعات ، الكويت ، دون سنة نشر ، ص (15) .
23- محمد الغزالي ، حقوق الانسان بين تعليم الاسلام واعلان الامم المتحدة ، دار الكتب الحديثة القاهرة ، الصيغة الثانية ، 1965 ، ص (116) .
24- طارق العادلي ، التجربة العراقية في المصالحة الوطنية ، دراسة أجريت سنة 2005 ، غير منشورة ، ص (165) .
25- طارق عزت رخاء ، تحريم التعذيب والممارسات المرتبطة به ، دراسة مقارنة في القانون الدولي العام والقانون الوطني والشريعة الاسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة، 1999 ، ص (413)

26- للاطلاع على الوثيقة ، كاملة أنظر : محمود شريف بسيوني ، الوثائق الدولية العينية بحقوق الانسان ، المجلد الثاني ، الوثائق الاسلامية والاقليمية ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 2005 ، ص (27) .
27- سورة الاحزاب ، الآية (21) .
28- طارق عزت راء ، تحريم التعذيب والممارسات المرتبطة به ، مرجع سابق ، ص (61) .
29- سورة التوبة ، الآية (100) .
30- مصطفى مراد ، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار الفجر للثرات ، القاهرة ، ط ح ، 2010 ، ص(446) .
31- مصطفى مراد ، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مرجع سابق ، ص (450) .
32- سنن أبي داود ، كتاب الخراج والامارة والفيء ، باب ماجا في خبر مكة ،الحديث رقم(3022).
33- مصطفى مراد ، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مرجع سابق ، ص (491)
34- نقلاً عن موسوعة الحرب ، الوجه القائم (النسخة الانجليزية الصادرة عن حزب الخضر الالماني)، نسخة 2010 ، موسوعة علمية تصدر كل خمس سنوات .
35- طارق العدلي ، التجربة العراقية في المصالحة الوطنية ، مرجع سابق ، ص (67) .
36- طوني عطا الله ، التجارب اللبنانية بين النزاعات والتسوية ، مقتضيات السلم الاهلي والذاكرة حالة لبنان من منظور تطبيقي ومقارن ، بحث غير منشور ، الجامعة اللبنانية ، ص (13) .
37- طارق العدلي ، التجربة العراقية في المصالحة الوطنية ، مرجع سابق ، ص (82) .
38- سورة الاعراف ، الآية (199) .
39- مصطفى مراد ، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مرجع سابق ، ص (96) .
40- سورة النساء ، الآية (114) .
41- طارق العدلي ، التجربة العراقية في المصالحة الوطنية ، مرجع سابق ، ص (97) .
42- اسماعيل عبدالرحمن محمد ، الحماية الجنائية للمدنيين في زمن النزاعات المسلحة ، رسالة دكتورة غير منشورة ، جامعة المنصورة ، كلية الحقوق ، 2000 ، ص (106) .
43- طوني عطا الله ، التجارب اللبنانية بين النزاعات والتسوية ، مقتضيات السلم الاهلي ، مرجع سابق ، ص (121) .